



نكتة "التأصيل الأبائي" في تعليم قداسة الأنبا شنودة الثالث

دكتور

جورج حبيب بباوي

٢٠١٧

"وَكَمِذَا بِمِصْرَ مِنَ الْمُضْحِكَاتِ، وَلَكِنَّهُ ضَحِكٌ كَالْبُكَاءِ.."

لم أجد أبلغ من هذا البيت بالذات الذى نظمته المتني قبل أكثر من ألف عام، للتدليل على ما يحدث من بعض أساقفة مجمع كنيستنا القبطية الذين يصرون على إثارة البلبلة وتصفية الحسابات وإثارة الانقسام والفرقة. هكذا يجب أن نقرأ ذلك الإعلان المريب الصادر عن لجنة العقيدة القبطية الأرثوذكسية بأسقفية الشباب عن لقاء بعنوان: موضوعات عقائدية معاصرة Dogma 4 بالمركز الثقافي القبطي بالأنا رويس بالعباسية ١٨ مارس ٢٠١٧. لأنك حين تستعرض موضوعات هذا اللقاء تجد نفسك أمام موضوع عنوانه: التأصيل الأبائي في تعليم قداسة البابا شنودة الثالث، عندئذ لا تملك نفسك من الدهشة والاستغراب: هل يمكن تأصيل كتابات البطريك الذي كتب كتاب "تأملات في أسوع الآلام"، وكتاب "بدع حديثة"، تأصيلاً أبائياً؟

والغريب المريب حقاً هو أن قداسة الأنبا شنودة الثالث لم يؤصّل ما كتبه من الآباء، ولم يدّع يوماً أن ما يكتبه أو يقوله له مرجعية أبائية، فلماذا يتحمل البعض منا عناء هذه المسؤولية الضخمة أمام التاريخ وأمام نصوص الآباء!!!

وعندما نجيء بعد ذلك للمؤصّلين، الآباء الأجلاء الأساقفة، وعلى رأس هؤلاء الأنبا موسى، نجد أنهم يفتقرون إلى الحد الأدنى من العلم اللاهوتي، فلم يدرس أحدهم التاريخ الكنسي ولا اللاهوت ولا حتى الكتاب المقدس بعهديه، وما نشره يشهد بذلك، فمن أين سيحيثون بالنصوص المرجعية لتعليم قداسة الأنبا شنودة؟!

هل يمكن تأصيل نظرية الأجساد الثلاثة؟

لكن دعونا نتحاور في مسألة التأصيل الأبائي هذه: هل ذكر الآباء شرقاً وغرباً أن للرب يسوع ثلاثة أجساد: واحد من العذراء، وثانٍ في الإفخارستيا، وثالث هو

الكنيسة^(١)؟ سؤالٌ اعترض عليه عدد قليل من أساقفتنا الأرثوذكسيين، ولزم الصمت عنه عدد آخر بما فيهم سكرتير المجمع المقدس الأنبا بيشوي، وربما سوف يلزم الصمت عنه أيضاً السكرتير الحالي للمجمع المقدس، الأنبا روفائيل كما فعل الأنبا بيشوي، وإن كان كلاهما مع الأنبا موسى يدافعون حتى الموت عن تعليم غربي عصر أوسطي، هو البديلة العقابية، ولم يشعر أيهما بالخجل من نفسه وهو ينسب هذا للقديس أنثاسيوس، الذي لم يستخدم بالمرّة كلمة "بديل"، وكلمة "عقاب". وأما كلمة "نيابةً عن" كما وردت في الترجمة العربية وحدها، فلا مكان لها في "تجسد الكلمة" بما يعني "البديل"، بل لعجز الإنسان عن فداء نفسه، ولذلك فالترجمة الأصح هي كلمة "لأجل".

هل يمكن تأصيل نظرية البديل العقابي، واحتراق الابن في نار العدل الإلهي؟

أما "البديل العقابي"^(٢)، فهو تعليم أنسلم الذي يفصل بينه وبين القديس أنثاسيوس ما يزيد على ٦٠٠ سنة.

دعونا نتساءل: هل يمكن تأصيل ما ورد عن احتراق الابن رب المجد في يوم الجمعة وتحول رب المجد إلى رماد؟^(٣) وهو تعليم الأنبا شنودة الثالث، وهو تجديف على

(١) راجع في ذلك كتاب سنوات مع أسئلة الناس.

(٢) راجع كتاب الأنبا شنودة الثالث: تأملات في أسبوع الآلام، خمس كتب، حيث يقول: "وقف أمام الناس كخاطيء، وأمام الآب كخاطيء .. وأمام الآب وقف نائباً عن البشرية الخاطئة، يحمل خطاياها كلها ليقدم ثمنها للعدل الإلهي، وبهذا يرضي الآب".

(٣) المرجع السابق، حيث يقول: "في يوم الجمعة، كان الله الآب قد أعد مذبح المحرقة على جبل الجلجثة .. وتقدم السيد المسيح وهو يحمل حطب المحرقة تقدم السيد المسيح وصعد على مذبح المحرقة من ذاته واتقدت فيه النار. وأنت نيران كثيرة، أحاطت به نيران من أقطار قريبة وبعيدة. ونيران من أجيال عديدة كلها كانت تخص خطايا الناس في كل مكان، وعلى مدى الأزمان. إنها نار العدل الإلهي الواقع على كل هذه الخطايا. وظلت النار تتقد، ثلاث ساعات كاملة. من الساعة السادسة حتى التاسعة. كانت النار تلتهم هذه المحرقة الإلهية وصعد دخانها إلى فوق. وتنسم الآب رائحة الرضا، ولم يرفع يده عن المحرقة، كما حدث مع اسحق. لذلك صرخت المحرقة "إلهي إلهي لماذا تركتني". إنه -تبارك اسمه-

رب المجد الذي "يجل فيه كل ملء اللاهوت جسدياً" (كولوسي ٢ : ٩).

هل يمكن تأصيل أن ما سُلم في العلية كان رمزاً؟

وهل يمكن تأصيل ما ورد عند الأنبا شنودة عن أن العشاء الرباني كان رمزاً لما سوف يحدث يوم الصلبوت^(١)؟

الغريب حقاً هو وجود نيافة الأنبا أغاثون، ضمن الآباء الأجلاء الذين سوف يقومون بعملية التأصيل المدّعاة، وهنا نوجّه له سؤالاً باعتباره إكليريكياً قديماً: هل

لم يترك محرقة ابنه الوحيد لحظة واحدة ولا طرفة عين. إنما ترك نار العدل الإلهي تنقد فيها حتى النهاية لإرضاء الآب ومصالحته عن كل خطية. وعن كل أثم وكل سهو لكل أحد، في كل مكان، في كل الأزمان. وقبل أن تتحول المحرقة إلى رماد، قالت للآب: قد أكمل .. وإذ استودعت روح السيد المسيح في يدي الآب، أخذ الآب رماد المحرقة - حسب الناموس - ووضعه في مكان طاهر في الفردوس أولاً ثم عن يمين الآب. وفي نفس الوقت. وعلى نفس الجبل، جبل الجلجثة قدم السيد المسيح ذاته كذبيحة خطية. ليحمل خطايا العالم كله سواء الخطايا المعاصرة لوقت الصلب، أو خطايا الماضي منذ آدم، أو خطايا المستقبل حتى آخر الدهور لكل من يؤمن به ويتوب ... لهذا، فإن كل الراقدين على رجاء في المحيم، مدوا أيديهم ووضعوها على رأس هذه الذبيحة، لتتوب عنهم، وقد قبلوها ذبيحة عن خطاياهم. وكل الذين آمنوا بالسيد المسيح في جميع الأجيال، يضعون أيديهم أيضاً على هذه الذبيحة لتتوب عنهم وهم يقبلونه لغنائهم. - ودم ذبيحة الخطية هذه، رُش مستديراً حول الكرة الأرضية. وعندئذ حدث أن الملاك الذي كان يجرس الطريق إلى شجرة الحياة بسيف من نار .. هذا الملاك رأى الدم نازفاً من ذبيحة الخطية، ليححو كل خطية، فقال "عندما أرى الدم أعبر عنكم". - "إن عبارة "تركتني" تعني أن آلام الصليب كانت آلاماً حقيقية، وآلام الغضب الإلهي كانت مبرحة .. في هذا الترك تركزت كل آلام الصليب. وكل آلام الفداء .. هنا يقف المسيح كذبيحة محرقة، وكذبيحة إنم تشتعل فيه النار الإلهية حتى تتحول الذبيحة إلى رماد، وتوفي عدل الله كاملاً". - "وبهذا أعلن أن الطرُق أخذ سبيله إلى الحديد المحمي بالنار، أو أعلن أن النار بدأت تلتهم ذبيحة المحرقة .. أو أعلن أن العدل يتقاضى أجره .. فكان أماً كاملاً، تنسم منه الآب رائحة الرضى". - "وكما كمل عاره كملت آلامه بالجسد، وكمل الغضب الواقع عليه دفع الثمن كله، وقدم نفسه فدية، وظلت النار تشتعل في ذبيحة المحرقة حتى حولتها إلى رماد ولما رأى الرب أنه أكمل عمل الكفارة والفداء، وأنه أعطى العدل الإلهي كل ما يطلب ولم يعد له شيء بعد، صاح في نصره قائلاً: "قد أكمل".

(١) المرجع السابق، حيث يقول: "نلاحظ هنا أنه قال دمي الذي يسفك وليس الذي سفك. وكذلك قال جسدي الذي يُبذل وليس الذي يُبذل ... ذلك لأن دمه قد سُفك يوم الجمعة، وجسده قد بُذل يوم الجمعة، اليوم الذي تم فيه الخلاص ... إن حديثه يوم الخميس، كان عن الخلاص الذي سيتم يوم الجمعة. والفصح الذي احتفل به يوم الخميس، كان رمزاً للفصح الحقيقي الذي للعهد الجديد الذي يُذبح عنا يوم الجمعة. وكأن الرب أراد أن يقول: إن هذا الفصح الذي تأكلونه اليوم يرمز إلى جسدي الذي يُبذل عنكم غداً، وإلى دمي الذي يسفك عنكم غداً. هذين اللذين أقدمهما لكم على صورة الخبز والخمر. وعلى هذه الصورة ستصنعون هذا السر لذكري."

ستحاكم أستاذنا د. وهيب عطا الله، الأنبا غريغوريوس صاحب بطاقة معايدة عيد الميلاد والتي كتب فيها: قال الآباء: الله صار إنساناً لكي يصير الإنسان إلهاً، أم أنك سوف تحاكم أثناسيوس نفسه صاحب هذه العبارة في تجسد الكلمة (فصل ٥٤ : ٣)؟

وعندما يُذكر في الإعلان عن هذا اللقاء بأنه يتم تحت رعاية قداسة البابا تواضروس الثاني، عندئذٍ يكون المطلوب هو أن يصبح قداسة البابا الجسر الذي من تحته تمر الحرب على مركز الآباء - دير الأنبا مقار - مدرسة الإسكندرية - بناريون - موقع الدراسات القبطية، وكل الذين يحاولون العودة إلى الآباء.

وإذا كانت الدهشة كبيرة لأسباب وظروف انعقاد هذا اللقاء والموضوعات المطروحة فيه، فالدهشة أكبر من الأنبا روفائيل الذي ألقى محاضرة بعنوان "البديل العقائبي عند أثناسيوس ولماذا تجسد الله"، دافع فيها عن الباطل -سوف نتناولها بالرد قريباً- في الوقت الذي كنا نرجو منه أن يعود إلى ما في قلبه من جذور تقوى، ولكن يبدو أنه لم يصمد أمام الإغراء. عموماً كان الله في عونك.

وأرجو مخلصاً ألا ينساق قداسة البابا المثقل بقضايا أهم من هذه الألاعيب الحزبية لكي يُستقطب ويدخل معركة التأصيل الخاسرة هذه.

أرجوكم اغلقوا كل الملفات القديمة. لقد حرصنا على أم الشهداء، وعلى دم وحياة أبناء وبنات الكنيسة، ولم يعد لدينا رغبة في أن ندخل الملعب معكم، ولكن إذا سارت الأمور كما كانت، فلا سلام لكم.

د. جورج حبيب بياوي